كلمة آل الفقيد
لنجل الفقيد الأستاذ أنس أنور الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور مروان المحاسني المحترم

السيد رئيس جامعة دمشق الدكتور ماهر قباقيبي المحترم..

السيد الدكتور عبد الجبار الضحاك المحترم..

السيد الدكتور كمال الأشقر المحترم..

الأساتذة أعضاء المجمع الموقرون..

السيدات والسادة الأكارم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عندما أخبرني مجمع اللغة العربية أن هناك حفل تـأبين لوالـدي رحمـه الله ضاق صدري وجاشت عينـايَ، فـأيّ رثـاء وأي تـأبين وأي دَيْـن يمكـن أن أردَّه لوالدي.

عندما أتأمل في حياة والدي أقول إن هناك أناساً يختصـهم الله لكـي يـؤدوا رسالة في هذه الحياة.

والدي رمز العطاء اللا محدود، تسعون عاماً من الخبرة والحكمـة والعمـل والصبر و الإيمان والحنان.

وُلِد وترعرع في بيئة دينية من آل البيت.. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هو الابن الأكبر لجدي ذي الأحد عشر ولداً. نشأ أبي ولَدَيه حِسُّ المسؤولية تجاه أمه وأبيه وإخوته.

علمَتْ جدّتي أنه إذا صلح ولدها الأكبر صلح بعون الله بقية إخوته، وفعلاً عرف أبي أنه لا سبيل لنجاحه وإخوته وفتح سبل الحياة لهم إلا بالعلم. فشقّ طريقه فيه وفي هذا الطريق لم يكن أنانياً فلم يختر مجالاً يتطلّب منه التفرغ والوقت الطويل للدراسة لأنه أخذ على عاتقه مهمة تعليم إخوته أيضاً وتطويرهم.

أحب الطبيعة وعشق نباتاتها حيث وجد فيها الملجأ والراحة حتى وقت أزماته وصعابه.. فاختار أن يدرس النبات في كلية العلوم ليكون من المتفوقين فيها ثم رشّحه الأستاذ الدكتور توفيق المنجد ليذهب في بعثة إلى فرنسا ليتم دراسته فيها وحصل على دكتوراه الدولة من جامعة مونبليه.

عاد إلى سورية عام ١٩٥٩ ليُدرِّس على مدرجات جامعة دمشق حتى بلغ السابعة والسبعين من العمر مع العديد من التمديدات له لندرة اختصاصه وهو التصنيف النباتي.

لقد جاب الوديان والصحاري وصعد الجبال والصخور بحثاً عن نباتات الطبيعة حيث درسها وصنفها وأسماها باللغة العربية واللاتينية وله الفضل في إنجاز المعْشَب في كلية العلوم جامعة دمشق.

من بعدها ذهب إلى الموسوعة العربية ليساهم في معاجمها وموسوعاتها. ثم رشحه الدكتور مروان المحاسني حفظه الله ليكون عضواً في مجمع اللغة العربية إلى أن توفاه الله.

ولقد حضر الكثير من المؤتمرات في دول عربية وأجنبية وحاضر في كثير من الندوات ممثلاً للجمهورية العربية السورية، ونال الكثير من شهادات التقدير لمساهمته في تطوير وإغناء البحث العلمي.

كان همّه وشغله الشاغل نباتات سورية وجبالها وحمايتها من التصحر. فكم عمل ونادى من أجل تشجير جبل قاسيون دمشق حيث لم يترك منبراً ولا وسيلة إلا وعمل على نشر التوعية فيها.

وشارك في مجلة (ماب) التابعة لهيئة الأمم المتحدة وكذلك الأمر في حَمَلاتٍ من أجل تنظيف نهر بردى وفروعه وساهم في إنشاء الحديقة البيئية في مدينة دمشق القديمة، وحديقة الندرة المائية في مشروع دمر.

ومن محبته لمدينته دمشق شارك في جمعية أصدقاء دمشق، وقام بالعديد من الجولات للتعريف بأحيائها وبحضارتها، ولن أدخل بتفاصيل أكثر من ذلك فأهل مكة أدرى بشعابها.

ولكني أود الحديث عن والدي رحمه الله وعلاقته بي كوني ابنه الأصغر، ورغم فارق السنين بيني وبينه، فإني بسبب روحه الشابة والمفعمة بالنشاط والحيوية و الإصرار على العمل وإرادته أن يكون منتجاً وفاعلاً في هذه الحياة، فلم أشعر بهذا الفارق والبالغ سبعة وخمسين عاماً.

تعلمت أنا وإخوتي الكتابة ومسك القلم بالنظر إليه جالساً كاتباً وباحثاً بين كتبه.

تعلمنا جمال خلق الله من مرافقته في رحلاته وجولاته مع طلبته في الطبيعة.

تعلمنا الإيمان من حديثه لنا وفلسفته في هذه الحياة.

تعلمنا منه الصبر والتفاؤل والوقوف بعد الوقوع من طريقة تعامله مع مصاعب الدنيا.

تعلمنا وتعلمنا منه الكثير الكثير.

كان مَشغوفاً بالعلم لم يثنه التطور عنه، فقد ألمّ بالحاسوب و استعمالاته حيث طوَّعه لعلمه وأبحاثه، وكان حريصاً على تعلم وإتقان ما هو جديد في التكنولوجيا ليستفيد منها في عمله ومؤلفاته.

كان بين كتبه جالساً أمام الحاسوب يكتب في أبحاثه وكان عنده هاجس أن لديه الكثير من الأعمال و الأفكار ولكن الوقت قد يحول دون إنجازها فقد كان يعمل على معجمٍ ليضم نباتات سورية ولكن القدر حال دون إنهائه.

لم يكن بمقدورك أن تجلس أو تتحدث مع الدكتور أنور الخطيب دون أن تستفيد من جلوسك و تحاورك معه.

فقد امتلك همة عالية تفوق همة الشباب، حيث كان والدي لا يفكر في نفسه أو فيما هو سهل لأن السهل بمقدور الجميع فِعله ولأن الصعب يحتاج إلى همم كالجبال.

فعندما كنت أقول له يا والدي هوِّن عليك وتقاعد وخذ قسطاً من الراحة، كان يقول لي قول سيدنا عليّ كرم الله وجهه (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا).

ويقول أيضاً لا راحة لمؤمن إلا بلقاء وجه ربه.

فلقد كان صبوراً حامداً قنوعاً، وكان دائماً يقول إن جنته في الأرض تتجلّى فيما أنعم الله عز وجل عليه من عقل وصحة وقناعة.

كما ربّانا على حب العلم والتأمل والتفكر في خلق الله وعظمته وإعجازه،

حيث كان يقول لنا: أول ما نزل من الله عز وجل على نبينا محمد ﷺ هو اقرأ، فبالعلم والإيمان يستطيع الإنسان دحر الصعاب، والتغلب عليها.

وكنا نرافق والدي في جولاته ورحلاته مع طلبته في الجامعة حيث كنا نرى في عينيه حبه للنباتات وبحثه عنها وشرحه لطلابه عليها.

كما كنا نرى محبة الطلاب له وحرصهم الدائم على تقديره فهم كانوا يوصوننا بوالدنا ويقولون أطال الله عمره (ديروا بالكم على الوالد فهو قيمة علمية كبيرة).

لقد شُغِف بحُبّ الطبيعة (النبات الهواء الماء) يقول لنا ثلاثة أحق بالتوفير الماء ثم الماء ثم الماء ويلصقها لنا على جدران المنزل ويقول لنا الحديث الشريف إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها.

وامتد حب العلم ليغرسه أيضا في أحفاده فها هي حفيدته تالية ذات السبعة أعوام تطلب من جدها أن يخصص لها طاولة لتكون مكتباً كمكتبه لتكتب وتخط أولى كلماتها.

وهاهو حفيده ثابت ذو الخمس أعوام يقلده في جمع أوراقه وحملها من أجل الذهاب للمحاضرة.

كما كانت شرفة منزله أحب الأماكن إليهم يجلسون مع جدهم ويسقون النباتات التي زرعها وملأت المكان.

مرت عليه في حياته منذ الصغر أحداث صعاب مؤلمة وكان دوماً يخرج منها قوياً شديد العزم والإيمان بربه الواحد الأحد ويقول لنا الأشجار تموت وهي واقفة.

كنتَ يا والدي كريماً متسامحاً حتى مع الذين يختلفون معك في الرأي.

علمنا الثبات والحب والأدب قبل العلم وله فضل عظيم في تربيتنا وتربية الجيل الذي تخرج عليه، سواء في جامعة دمشق أو جامعة الإمارات العربية المتحدة إذ كان أستاذاً معاراً لديها لخمس سنوات.

الجميع يحبونه ويثنون عليه ويتمنون لقاءه والاستمتاع بحديثه المشوق،كان كلٌّ يوم في حياته مثالاً و قدوة نتعلم منه الكثير.

كان شخصاً مميزاً خلال مسيرة حياته أحبه الكبير والصغير والبعيد قبل القريب لبساطته وأخلاقه وعلمه وتواضعه لم يبخل على أحد بعلمه أو بوقته أو بماله.

وكانت آخر وصاياه أن يحبَّ بعضنا بعضاً، فبالمحبة نرتقي وبالحقد والكراهية ندمر أنفسنا قبل أوطاننا.

نفتقدك يا أبي ونشتاق إليك لحديثك ووعظك ولسماع صوتك الذي يخفف علينا أعباء الحياة ومصاعبها وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

إلى أعز وأغلى وأحب الناس على قلبي إلى روحك الطاهرة.

لئن غبت عن عيني وشطت بك
فأنت بقلبي حاضرٌ وقريب
خيالك في وهمي وذِكرُك في فمي
ومثواك في قلبي فأين تغيب؟

رحمك الله. رحمك الله يا أبي، لن ننساك ولن تنساك الأرض الطيبة التي عملت على حمايتها و الحفاظ على بيئتها التي كنت غيوراً عليها.

رحمك الله وأسكنك فسيح جناته وجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأعاننا على بِرِّك وأداء حقك علينا وعلى إكمال مسيرتك.

وفي الختام أودّ أن أتوجه بالشكر الجزيـل.. لهيئـة مجمـع اللغـة العربيـة.. رئيساً وأعضاءً.. على هذه المبادرة واللفتة الكريمة في إقامة هذا التأبين.

وكل الشكر لكم جميعاً على حضوركم ودمتم بألف خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.